حكايات ألف ليلة



حلاق بغداد

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

غَضِبَ ملكُ الصِّينِ غَضَبًا شَديدًا ، وهدَّدَ الأَربعَةَ الْمتَّهَمينَ بقَتْلِ مُهَرِّجِه الأَحْدَبِ بالشَّنْقِ ، إذا لمْ يَقُصُّوا علَيْهِ حِكايَةً أَعْجَبَ منْ حِكايةِ موْتِ الأَحْدَبِ .. فتقدَّمَ الْخيَّاطُ ليحْكىَ حِكايَتَهُ قائلاً :

- اعْلَمْ يا مَلِكَ الزَّمانِ أَنَّنى كُنْتُ مَدْعُوًا إلى وَليمةٍ ، مُنْذُ عدَّةِ أَيامٍ ، وأَنَّ هذِهِ الْوَليمَةَ قدْ ضمَّتْ ضُيوفًا منْ بلادٍ مُخْتلفةٍ .. فلما وُضِعَ الطَّعامُ دخلَ علَيْنا أَحدُ الْمَدْعُوينَ ، وكانَ شابًا أَعْرجَ منْ (بَغدادَ) وهَمَّ بأَنْ يجْلسَ لِيأْكُلَ معَنَا ، لكنَّهُ انْتَفَضَ واقفًا فى فزَعٍ ، كأَنَّ عقْربًا لدَغتْهُ ، وراحَ يستَعيذُ باللهِ ، ثم قرَّرَ مُغادرَةَ الْمكانِ على الْفوْرِ ، بعْدَ أَنْ رأَى حلاَّقًا يجلسُ بيْنَنَا .. ومِنَ الْواضحِ أَنهُ كانتْ هُناكَ سابقُ مَعْرفَةٍ بينهما .. فتعَجَّبْنا منْ ذلكَ ورجَوْناه أَنْ يجْلِسَ لِيأكُلَ معنا ، وحلفَ عليْه صاحبُ الْوَليمةِ أَنْ يَبْقَى ، فقالَ الشَّابُ الأَعْرجُ وهو يُشيرُ إلى الْحلاَّقِ : لا أَستطيعُ أَنْ أَلْدَغَ منْ هذا الْحلاَّقِ مرَّتيْنِ .. لقدْ أَخَذْتُ على نفسِى عهْدًا أَلاَّ أَجْلسَ معَهُ ، أَوْ أَتحدَّثَ إليهِ أوْ أَتعامَلَ معهُ ماحَييتُ ، أَوْ أَسْكُنَ معهُ فى بلَدٍ . ولقدْ تركْتُ (بغْدادَ) هرَبًا مِنْهُ ، وطالَما أَنهُ جاءَ إلى هنا ، فلا بقَاءَ لى فى هذا الْبلدِ ، فقدْ كانَ هذا الْحلاقُ سببَ عَرَجى ، وكَسْرِ رِجْلى ..



فتعجَّبَ الْجميعُ منْ ذلكَ ، وطَلَبْنا منَ الضَّيْفِ الأَعْرجِ أَنْ يَحْكِيَ لنا حِكايتَهُ معَ حلاَّقِ (بغْدادَ) فتغيَّرَ لوْنُ الْحلاَّقِ واصْفَرَّ ..

أَما ضَيْفُنا الأَعْرجُ فقدْ بدأَ يَحْكى حِكايتَهُ قائلاً :

كانَ والِدِى منْ أَكْبرِ تُجَّارِ (بغْدادَ) وعِنْدَما تُوُفِّى تركَ لى تجَارةً رائِجَةً ، وأَمْوالاً كثيرةً ، وتركَ لى خَدَمًا وحَشَمًا ، فكُنْتُ أَرْتدى

أَفْخَرَ الْملابسِ ، وآكُلُ أَحْسنَ الطَّعامِ ، ولم أكُنْ قَدْ تزوجْتُ بعْدُ ..

وذاتَ يومٍ كنتُ سائرًا فى أَحَدِ أزِقَّةِ (بغْداد) فرأَيْتُ فتاةً كأنها الْبَدْرُ فى ليْلَةِ تَمَامِه ، وهىَ تسْقِى زرْعًا لها فى شُرْفَةِ منْزِلها ، ثم اخْتَفَتْ داخِلَ مَنْزِلها ، فقلْتُ فى نفْسِى : هذه الْفتاةُ أَتَّخِذُها لى زوْجَةً .. وبيْنَما أنا واقِفٌ أتأمَّلُ الْبيتَ رأيتُ قاضىَ الْقُضاةِ راكبًا بغْلَتَهُ ، يتقدَّمُه عَبيدٌ ، ويسيرُ خدَمٌ .. ثم نزلَ قاضى الْقُضاةِ عنْ بغْلَتِه ، واتَّجَه إلى داخلِ الْمنزِل ، فعرفْتُ أَنَّهُ أَبوها ، وقلْتُ فى نفْسِى : أُصاهِرُ قاضى الْقُضاةِ .. وهكذا عُدْتُ إلى بَيْتى سعيدًا ، وأَنا عازِمٌ على خِطْبَةِ ابْنَةِ قاضى الْقُضاةِ ، ولكنْ كيْفَ السَّبيلُ إلى ذلكَ ؟! عِنْدما فكَّرْتُ فى الأَمْرِ ركبَنى الْهَمُّ والْغَمُّ ، حتى مَرِضْتُ ولَزِمْتُ الْفِراشَ مِنَ الْفِكْرِ .. وكانَ منْ ضِمْنِ خَدَمى سيِّدَةٌ عجُوزٌ ، هى التى ربَّتْنى بعْدَ وفاةِ أُمِّى ، فكانتْ فى منْزِلَةِ أُمِّى ، فلما رأَتْنى على هذه الْحالِ سأَلَتْنى عنْ سببِ همِّى وغمِّى ، فأَخْبَرْتُها أَننى أُريدُ الزَّواجَ منَ ابْنَةِ قاضى الْقُضاةِ ، لكنَّنى أَخْشَى أَنْ يَرْفُضَنى أَبوها ، فطَمْأَنَتْنى قائِلَةً : إِنها كثيرةُ التردُّدِ على بيْتِ قاضِى الْقُضاةِ ، وعلى علاقَةٍ طيِّبَةٍ بالْفتاةِ ، وإنها



تستطيعُ استِطْلاعَ رأْيِ الْفَتَاةِ ، قبْلَ أَنْ أَتقَدّم لأَبيها .. فلمّا سمِعْتُ ذلك منْها كِدْتُ أَطيرُ منَ الْفرَحِ وزايلَنى الْهَمُّ والْمرضُ ..

وبعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ انطَلَقَتِ الْعَجوزُ إلى بيْتِ قاضى الْقُضَاةِ ، وقابلَتِ الْفَتَاةَ ، وحدَّدَتْ معَها موْعِدًا للِقائى والتحدُّثِ مَعى فى بَيْتِها ، يومَ الْجُمعةِ ، قبْلَ الصَلاةِ ..

فلمَّا سمِعْتُ منها ذلكَ قدَّمْتُ لها كُلَّ ما كانَ فى كِيسِ نُقُودى منْ دنانيرَ مكافأةً لها .. وجلَسْتُ أنتظِرُ قدُومَ يومِ الْجمعَةِ بفارِغِ الصَّبْرِ .. فلما كانَ يوْمُ الْجُمعَةِ ، بكَّرْتُ بالذَّهابِ إلى الْحمَّامِ .. ثُمَّ عُدْتُ إلى بيْتى ، وطلَبْتُ منْ أحدِ خَدَمى أنْ يُحْضرَ لى حلَّاقًا ، حتى أقُصَّ شعْرى ، وشرطْتُ عليْهِ أنْ يأْتِىَ بحلَّاقٍ قليلِ الْفُضُولِ ، قليلِ الْكلَامِ ، حتى لا يُضيعَ وقْتى ، ويصدِّعَ رأْسى بكثْرةِ كلامِهِ وثرْثرتِهِ ..

فعادَ الْخادمُ ومعَهُ ذلك الْحلَّاقُ الْمشئومُ .. فلمَّا دخلَ سلَّمَ علىَّ وقالَ : أذْهَبَ اللَّهُ عنْكَ الْهمَّ والْغمَّ والْبُؤْسَ والأحْزانَ يا سيِّدى .. فقلْتُ له : تقبلَ اللَّهُ منْكَ .. فقالَ لى : أبْشِرْ يا سيدى ، فقدْ جاءَتْكَ الْعَافِيةُ على يدَىَّ .. هلْ تُريدُ تقْصيرَ شعْرِكَ ، أمْ إخراجَ دمٍ فاسدٍ منْ رأْسِكَ ، فإنهُ وردَ فى الأثَرِ ، أنَّ منْ قصَّرَ شعْرَهُ يومَ الْجمعَةِ أذْهَبَ اللَّهُ عنْهُ سبْعينَ داءً .. ووردَ فى الأثَرِ أيْضًا أنَّ منِ احْتَجَمَ يومَ الْجمعَةِ فإنهُ يأْمَنُ كثْرَةَ الْمرضِ ، وذهابَ الْبَصرِ ..

فقلتُ له : دَعْ عنْكَ هذا الْكلامَ ، وابْدأْ فى حلْقِ رأْسى على الْفَوْرِ ..

فقامَ ذلك الْمشئومُ الْجالسُ أمامكُمْ ، وأخْرجَ منْ حقيبَةِ أدواتِهِ (اصْطرْلابًا) يتكوَّنُ منْ سبْعِ صفائحَ ، واتَّجَهَ إلى فِناءِ



الدَّارِ ثم راحَ يتـأَمَّلُ شـُعاعَ الشمْسِ وقالَ لى : اعْلَمْ يا سيِّدى أَنهُ مضَى منْ يَوْمِنا هذا ـ وهو يومُ الْجمعَةِ الْعاشِرُ منْ شهرِ صفرٍ ، سنةَ ثلاثٍ وسِتِّينَ منَ الْهِجْرةِ النبويَّةِ الْمُباركةِ ـ مضى سبْعُ درجَاتٍ ، وستُّ دقَائِقَ ، حسبَ ما أَوْجَبَه عِلْمُ حسابِ الْمرِّيخِ ، وحلْقُ الشَّعْرِ فى هذا الْوَقْتِ مُباركٌ جِداً .. والأَهَمُّ منْ ذلك يا سيِّدِي أَنَّ هذا يُدلُّ عِنْدى على أَنَّكَ تريدُ

الْقُدُومَ على شَخْصٍ مَسْعودٍ .. ولكنَّ هُناكَ أُمُورًا خطيرةً لنْ أذكُرَهَا لك ..

فقاطَعْتُهُ قائِلاً : لقدْ أَضْجَرْتَنى ، وأنا لمْ أَطْلُبْكَ إلاَّ لتحلِقَ لى رأْسى ..

فقالَ : لوْ علِمتَ حقيقَةَ الأمْرِ ، لطلَبْتَ منِّى الزِّيادَةَ ، ولذلكَ فأنا أُشِيرُ عليْكَ أَنْ تعْملَ الْيَوْمَ بمَشُورَتى لكَ ، وبما آمُرُكَ به مِنْ عِلْمِ حِسابِ الْكوَاكِبِ ، فإنِّى لكَ ناصِحٌ أمِينٌ ، وأَوَدُّ أَنْ أكونَ فى خِدْمَتِكَ سنَةً كاملَةً ، حتى تَنْتَفِعَ بعِلْمِى ، ولا أُرِيدُ مِنْكَ أَجْرًا علَى ذلكَ ..

فقلْتُ له فى نفَادِ صَبْرٍ : إنكَ قاتِلِى الْيَوْمَ لا مَحالَةَ ، بكَثْرةِ فُضُولِكَ وثَرْثَرَتِكَ ..

فضحِكَ ذلكَ الْمشْئومُ وقالَ لى : كيْفَ تقولُ ذلكَ يا سيِّدى ، وأَنا الذى يُسَمِّينى النَّاسُ (الصَّامِتُ) لِقِلَّةِ كَلامى مِنْ بَيْنِ إخْوَتى السَّبْعَةِ جَميعًا ..

فصِحْتُ ناهِرًا إيَّاهُ فى غَضَبٍ : وهلْ لكَ إخوَةٌ همْ أَكثرُ منْكَ فُضُولاً وثَرْثَرةً ؟!

فضحِكَ فى بُرُودٍ وقالَ : نعَمْ وسوْفَ أُحَدِّثُكَ عنْ كلِّ واحدٍ منهمْ بالتَّفْصيلِ حالاً .. فصِحْتُ فيهِ : لقدِ انْفطَرتْ مَرَارَتى منْ ثَرْثرتكَ ، فهلْ تُريدُ أَنْ تقْتُلَنى بحَديثكَ عنْ إخْوتِكَ ؟! خُذْ رُبْعَ دينارٍ



وانْصَرِفْ عَنِّى لِوجْهِ اللَّهِ ، فلا حاجَةَ لى فى حلْقِ رأْسِى .. لقَدْ غيَّرْتُ رأيى ، وأنا أَعْتَذِرُ لكَ عنْ إحْضارِكَ ..

فقالَ ذلك الْمَشْئومُ بِمُنْتَهى الْبُرودِ : يا سيِّدى أنْتَ لا تعْرِفُ منْزِلَتى ، فإنَّ يَدى تقعُ على رأسِ الْمُلوكِ والأُمَراءِ والْحُكَّامِ والْوُزراءِ كالْبَلْسَمِ الشَّافِى ..

فقلْتُ ناهِرًا : لا حاجَةَ بى إلى بلْسَمِكَ الشَّافى ، لقدْ ضاقَ صدْرِى مِنْكَ ..

فقالَ بمنْتَهى الْبرُودِ : أَظنُّكَ مُتعَجِّلاً يا سيِّدى ؟!

فقلتُ لهُ : نعمْ .. نعمْ ، وأَنتَ تُضيعُ وقْتِى بثرثرتِكَ الْفارِغَةِ ..

فقالَ بِبرُودِهِ الْمُعْتادِ : تمهَّلْ يا سيِّدى فإنَّ الْعَجَلةَ منَ الشَّيْطانِ ، وفى الْعَجَلةِ النَّدامَةُ .. وأَنا أُريدُ منْكَ أَنْ تصارِحَنِى بحَقِيقَةِ أَمْرِكَ ، ولماذا أَنْتَ متعجِّلٌ هكذا ، حتى أُرْشِدَكَ إلى الصَّوابِ ، لأَننى أَخْشَى أَنْ يُصيبكَ منْ ذلكَ مكْرُوهٌ ، فتندمَ عليهِ حينَ لا ينفعُ النَّدَمُ ..

وأَمْسكَ الْموسَى ، ليحْلِقَ لى شَعْرِى ، لكنَّهُ أَلْقَى به بِسُرعَةٍ ، وأخذَ (الاصْطِرلابَ) ومضَى إلى الشَّمْس ، فأَخذَ يقيسُ شُعاعَها ، ثم عادَ ، لِيقولَ لى : قدْ بَقِىَ على وقْتِ صلاةِ الْجمعَةِ ثلاثُ ساعاتٍ لا تَزيدُ ولا تَنْقُصُ ، فما هوَ الأَمْرُ الْمُهِمُّ الذى يشْغَلُ بالَكَ ، ويجعَلُك مُتعجِّلاً هكذا ؟!

فقلتُ له فى غَضَبٍ : اسْكُتْ .. لقدْ فتَّتتَ كبِدى ..

ويَبْدو أَنهُ خجِلَ منْ نفْسِهِ أَخيرًا ، لأَنهُ أَخَذ الْموسَى وراح يسنه ببطء ، ففرحْتُ وقُلْتُ فى نفْسى : الْحمدُ للهِ ، ها هِىَ ذى بَوادِرُ الْغُمَّةِ ، توشِكُ أَنْ تنْزَاحَ عَنِّى ..



وقدْ زادتْ سعادَتى ، عِنْدما بدأ يحلِقُ شَعْرى ، لكنَّ سعادَتى لمْ تدُمْ طويلاً ، لأَنهُ توقَّفَ عنِ الْحلاقةِ ، وعادَ إلى ثَرْثرتِه قائلاً : أنا مَهْمُومٌ منْ تعَجُّلِكَ الْحلاقَةَ هكذا بدُونِ سَبَبٍ .. لو أَطْلَعْتَنى على سببِ تعَجُّلِكَ ، لكانَ خيْرًا لكَ ..ولْتَعْلَمْ يا سيِّدى أَنَّ الْمرحومَ والِدَكَ لمْ يكُنْ يفعَلُ شيْئًا إلا بعْدَ مَشُورَتى ..

فلمَّا سمعْتُ منْه ذلك قلْتُ له : وهلْ كنْتَ تعْرِفُ والدِى ؟!

فقالَ بكُلِّ برودٍ : نعمْ .. لقدْ كنتُ أَنا حلاَّقَهُ الْخصوصىَّ ..

فقلتُ في غيْظٍ: هذا يفسِّرُ مَوْتَه مُبَكِّرًا .. لا بدَّ أنهُ ماتَ كمدًا منْكَ وحسْرةً منْ فُضُولك وثرْثرَتِكَ ..

وقلْتُ في نفْسي: قدْ قرُبَ وقْتُ الصَّلاةِ، وذلكَ الأحْمقُ قدْ شوَّهَ شَعْري ولا يريدُ أنْ ينْتهِيَ منْ حِلاقَتِهِ .. كيْفَ أتمكَّنُ منْ لِقاءِ الْفتاةِ، قبْلَ أنْ أقابلَ والدَها، لأخْطُبَها مِنْه؟! ذلك الأحْمقُ سيُفْسدُ كلَّ شيْءٍ بتَلكُّئِهِ وثَرْثرتهِ ..

ويَبْدُو أنَّ ذلكَ الْفُضوليَّ قدْ قرأَ أفْكاري، لأنَّهُ بادرني قائِلاً:

دعْ عنْكَ الكِتْمانَ يا سيِّدي، وصارِحْني بكلِّ شيْءٍ ..

فقلتُ له كاذِبًا: بصراحَةٍ أنا مَدْعُوٌّ إلى وَليمَةٍ عنْدَ بعْضِ أصْدِقائي، وأريدُ أنْ أمْضِيَ إليهمْ بسُرْعةٍ ..

فلما سمعَ ذكْرَ الدَّعْوةِ والْوَليمةِ زادَ فضُولهُ، فقالَ لي، وكأنَّهُ تذكرَ شيْئًا فجْأةً:

نَهارُكَ مُبارَكٌ يا سيِّدي .. لقدْ ذكَّرْتَني بشيْءٍ مُهِمٍّ غابَ عنْ بالي، وكِدْتُ أنْساهُ ..

فقلتُ في نفْسي: مُصيبَةٌ جَديدَةٌ وحطَّتْ على رأْسي ..

أَما هوَ فاسْتَمرَّ قائلاً:

لقدْ عزَمْتُ جماعةً منْ أصْدقائي على الْغداءِ الْيومَ، لكِنَّني نسيتُ



أَنْ أُجَهِّزَ لهمْ شيْئًا يأكُلُونه .. ماذا أقولُ لهمْ ، إذا حضَروا للْغداءِ ، ولمْ يَجدوا ما يأكُلُونَهُ ؟! وافَضِيحَتاهُ ..

فقلْتُ له مُطَمْئِنًا ، حتى يمْضِيَ فى حِلاقةِ شعْرِى :

لا تحْمِلْ همًا ، فأنا مَدْعُوٌّ إلى الْغَداءِ عنْدَ أَصْدِقائى ، وكلُّ

ما فى بيْتى مِنْ طعامٍ وشرابٍ هو لكَ لتُطْعِمَ به أصدِقاءَك ، بشرْط أَنْ تُسْرِعَ بحلاقةِ شعْرِى ..

فزادَ فضُولُه وقالَ فى دهاءٍ :

جزاكَ اللَّهُ خيْرًا يا سيدى ، صفْ لى ما عِنْدَكَ منْ طعامٍ حتى أَعْلَمَ أَيكْفى ضُيوفى أَمْ لا ..

فقلْتُ لأُرضيهِ :

عِنْدى خمْسَةُ أَوانٍ كبيرةٍ بكلٍّ منْها صِنْفٌ من الطَّعامِ ، وعِنْدى خَروفٌ مشوِىٌّ ، وعشرُ دجاجَاتٍ مُحمَّرةٌ ، عدا ثَلاثة أَصْنافٍ منَ الْحلْوى وصِنْفانِ منَ الْفاكهَةِ ..

فبانَ الْجشَعُ فى عيْنَىْ ذلكَ اللَّئيمِ وقال :

مُرْ خدَمَك أَنْ يُحضِروا كلَّ هذه الأَصْنافِ حتى أَراها وأَطْمئِنَّ عليها ..

فأَمرتُهمْ أَنْ يُحضِروها ، فلما رآها اطْمأَنَّ وأَخَذَ يتذَوَّقُ الأَطْعمَةَ ، بعْدَ أنْ رمَى الْموسَى قائلاً :

لا أَدْرى كيْفَ أَشكُرُكَ يا ولَدى ، لأَنَّ وليمَتِى لأَصْحابى الْيوْمَ كلَّها منْ بعْضِ فضْلِكَ وإحْسانِكَ ، وليْس فى أَصْدقائى واحدٌ يستحِقُّ كلَّ هذا الطَّعامِ الْفاخرِ ..

فقلْتُ متهكِّمًا : ومَنْ يكونونَ أَصْدقاؤكَ هؤُلاءِ يا تُرَى ؟!



فهرشَ ذلك المشْئُومُ رأْسَهُ وقالَ :

إنَّ أَصدِقـائى خليطٌ منَ الْعَجَب .. فـمِنْهُمْ (زَيْتُونَةُ الْحـمَامِى) و(صَيلعُ الْفَسخَانى) و(سيلَةُ الْفَوَّالُ) و(عِكْرِشَةُ البَقَّالُ) و(حُمَيْدُ الزَّبالُ) و(عكَارِشُ اللَّبَّانُ) و(سُيُودُ الْعَتَّـالُ)و(قَسيمُ الْحـارِسُ) و(كَرِيمُ السَّائِسُ) وأَجْمَلُ ما فيهمْ أَنهمْ قَليلو الْكلامِ ، لا يعْرِفُونَ الْفُضُولَ مِثْلى تمامًا .. ولكلٍّ واحـدٍ منهمْ أُغْنِيـتُـهُ الْمفَضَّلَةُ

ورقْصَتُه التى لا يُجيدُها أَحَدٌ سِواهُ ، ونِكاتُهُ التى تُفْرِحُ الْمَهْمومَ ، وتُزيلُ الكَرْبَ عنِ المَكْرُوبِ ..

فقلْتُ له مُتهكِّمًا : يا لَها منْ صُحْبَةٍ منْ عِلْيَةِ الْقَوْمِ !

فقالَ : ليسَ مَنْ رَأى كَمَنْ سَمِعَ .. ولذلكَ فأنا أقْترِحُ عليْكَ يا سيِّدى أنْ تَتْرُكَ عُزومَةَ أصْدِقائِكَ ، وتأْتِيَ معى لِمُشاهَدةِ أَصْدقائى والتَعَرُّفِ إلَيْهِمْ ..

فقلتُ له فى غَيْظٍ : ليْسَ الْيَوم ، بلْ دَعْنى أَمضِى إلى أَصْدقائى وتَمْضِى أَنْتَ إلى أَصْدِقائك .. أَسْرِعْ بحلاقَةِ شعْرى ، حتى لا تتأَخَّرَ ..

فقالَ ذلك المَشْئومُ فى بُرُودِه الْمُتناهِى : طالما أنَّكَ مُصِرٌّ على عدمِ حضُورِكَ معى ، فانْتَظِرْنى يا سيِّدى ، حتى أَحْمِلَ هَذا الطعامَ وأَذْهبَ به إلى أصْدقائِى ، فأتركُهمْ يأكلونَ ، وأعودَ لأذْهبَ معكَ إلى وليمةِ أصْدقائِكَ ..

كدْتُ أنْ يُغْمَى علىَّ منَ الصدْمةِ والدَّهْشةِ ، وقلتُ له فى غيْظٍ : لمْ تُنْهِ حِلاقَةَ شعْرى ، وتصِرُّ على الذَّهابِ معى ؟! إنكَ أَوْقَحُ إنسانٍ رأَيْتُهُ فى حَياتى ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ١٥٩٥٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ١ - ٦٩٠ - ٢٦٦ - ٩٧٧